Journal Of the Iraqia University (68-1) July (2024)



ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

العــراقيــة
المجلات الأكاديمية العلمية
IRAQI
Academic Scientific Journals

فلسفة جون لوك في الاستعمار والعبودية

د. لطيفة بنت عبد العزيز بن عبد الله المعيوف

استاذ العقيدة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية- كلية التربية- جامعة الملك سعود

John Locke's philosophy of colonialism and slavery

Dr. Latifah. Abdulaziz Abdullah Al-Mayouf
Associate Professor of Creed, Department of Islamic Studies, College of Education, King Saud University

lalmayouf@ksu.edu.sa

latifahalmayouf@gmail.com

+966554449597

الملخص.

شغل جون لوك عدة مناصب سياسية وكتب أعماله من خلال عمله السياسي، ومن منطلق مفهوم الحقوق الطبيعية لجميع البشر. وتضمنت نصوص جون لوك في العقد الاجتماعي؛ التنظير للاستعمار والعبودية.أهمية البحث في تقديم رؤية بنائية للتنظير الفلسفي الأوروبي للاستعمار والعبودية، ودراسة أثر جون لوك في ذلك، وموقف الباحثين الغربيين من تحليل أثره.يهدف البحث إلى استقراء نصوص جون لوك في تبرير الاستعمار والعبودية، ومبررات الباحثين الغربيين، ودراسة مدى الأصالة الفلسفية في أفكار جون لوك، واحتمالية ازدواجيته.طريقة البحث: الاستقرائي نتائج البحث:فلسفة جون لوك في السياسة والعقد الاجتماعي هي امتداد للتنظير الفلسفي السياسي في العصر الحديث. أثرت الصراعات السياسية والدينية، والتطلعات الاقتصادية والتجارية على فلسفة جون لوك. تفتقر فلسفة لوك إلى أخلاقيات المساواة بين الناس، في تبرير السعي وراء المكاسب. يوصف جون لوك بأنه عراب الاستعمار والعبودية بسبب ممارسته للعمل السياسي والتنظير الفلسفي. تشير الاختلافات البحثية حول جون لوك إلى احتمالية التناقض والازدواجية في فلسفته.التوصيات:دراسة أثر كتابات الرحالة عن العالم الجديد في فلسفة جون لوك.دراسة مكانة القيم والفضيلة في الفلسفة السياسية.الكلمات المفتاحية: جون لوك – القانون الطبيعي. العقد الاجتماعي – الاستعمار – العبودية – الفلسفة السياسية.

Summary

John Locke held several political positions and wrote his works from his political work and the concept of the natural rights of all human beings. It included John Locke's texts on the social contract; theorizing colonialism and slavery.The importance of the research in presenting a constructive vision of the European philosophical theorization of colonialism and slavery, studying the impact of John Locke on that, and the position of Western researchers on analyzing its impact.The research aims to extrapolate John Locke's texts in justifying colonialism and slavery, the justifications of Western researchers, and study the presence of philosophical originality in John Locke's ideas and his duality.Research method: inductiveResearch results: Political philosophical theorizing in the modern era has been influenced by John Locke's philosophy of politics. In John Locke's philosophy, economic and commercial interests influenced political and religious conflict. For Locke, the pursuit of gains cannot be justified by equality between people. Due to his involvement in political action and philosophical theorizing, John Locke is called the godfather of slavery and colonialism. In his philosophy, John Locke shows contradictions and duality.Recommendations:Study the impact of the writings of New World travelers on the philosophy of John Locke.Study of values and virtue in political philosophy. Keywords: John Locke - natural law. The social contract - colonialism - slavery - political philosophy

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسوله محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد،تعنى الدراسات العربية بدراسة فلسفة جون لوك في المعرفة، وأقسام الحكم المدني، ثم رسالته في التسامح وعلاقتها بالليبرالية، في الوقت نفسه تتجادل الأبحاث في العالم الغربي حول موضوعات أخطر؛ وهي علاقة جون لوك بالاستعمار والعبودية، منقسمين بين متهم، ومدافع، ومبرر.لذا جاء هذا البحث بعنوان: **فلسفة جون لوك في الاستعمار والعبودية.**

مشكلة البحث.

تقلد جون لوك عدداً من المناصب السياسية، وكتب مؤلفاته من خلال الممارسة السياسية، فكتب رسالة في الفهم البشري، ورسالتان في الحكم المدني، ورسالة في التسامح، وانطلق من خلال مفهوم الحقوق الطبيعية لجميع البشر؛ ليُنشأ نظريته في العقد الاجتماعي. تضمنت نصوص مؤلفات جون لوك دعوة وتنظير للاستعمار والعبودية؛ اختلف فيها الباحثون الغربيون، هذه الدراسة تستقرأ نصوص جون لوك، وتقدم وجهات النظر البحثية حولها.

حدود البحث.

دراسة رسائل جون لوك السياسية المتعلقة بالتنظير الفلسفي السياسي للاستعمار والعبودية وهي:

رسالتان في الحكم المدني، ورسالة في التسامح، ورسالة في الفهم البشري.

أهمية البحث.

١. تقديم تصور للبناء النظري الفلسفي الأوربي في الاستعمار والعبودية.
٢. يمثل جون لوك محل نزاع بحثي وسياسي في العالم الغربي

أهداف البحث.

١. استقراء نصوص جون لوك في تبرير الاستعمار والعبودية.
٢. بيان الجدل البحثي في العالم الغربي حول فلسفة جون لوك السياسية.
٣. دراسة وجود أصالة فلسفية لأفكار جون لوك وازدواجيته.

منهج البحث.

يتبع البحث المنهج الاستقرائي.

الدراسات السابقة.

تتعامل الدراسات باللغة العربية مع موضوع البحث بدارسة فلسفة جون لوك في المعرفة، ومن جانب السياسة فهي تعنى بالبحث في تطوير الدولة حكومة وشعبا، أما ما يتعلق بجانب فلسفة الاستعمار والعبودية، فلم أجد –حسب وسعي– دراسة عربية تعنى بهذا الجانب بالدراسة.بالنسبة للدراسات باللغة الإنجليزية في هذا الجانب؛ هي متوفرة وفيها فائدة مرجوة للبحث، ولنشر الجانب الآخر لفلسفة جون لوك، من هذه الدراسات:

- Arneil, M. Barbara. (1992) 'All the World was America' John Locke and the American Indian. In fulfillment of the requirement for the degree Doctor of Philosophy. University College, London.
- Cundiff. Caroline. (2021) Slavery in Thought and Action Reconciling the Duality of John Locke. A Thesis for the Degree Master of Arts, ARIZONA STATE UNIVERSITY.

الدراسة الأولى، رسالة دكتوراه، عن نظام جون لوك السياسي في أمريكا، وعنيت بدارسة مصادر جون لوك غير المعلنة في رسائله، والمتمثلة في مؤلفات الرحالة حول العالم، واستفادته منها دون الإشارة لها، كما اعتنت الدراسة ببيان موقف لوك من أصدقائه وزملائه في صياغة رسالته في الحكم المدني وفق أهدافهم وتطلعاتهم الاستعمارية، والجوانب الاقتصادية، وأثر لوك على بعض الرؤساء الامريكيين وخرجت الدراسة بأن لوك مهد لاستعمار أمريكا، وتوسع الاحتلال الإنجليزي، متجاوزا الأوروبيين والسكان الأصليين.الدراسة الثانية: تتميز بجدتها وهي تستعرض حركة العبودية في أمريكا، بدارسة الاستعباد في عدد من الولايات، واستقراء الدساتير المتعلقة بذلك. وهي دراسة نافعة، كما أنها من مراجع البحث.والدراسات الغربية حول فلسفة لوك السياسية كثيرة ومتعارضة ومختلفة، وهي دراسات جديدة، تتطلب العناية والدراسة، وعدد من هذه الدراسات من مراجع هذا البحث.

خطة البحث.

التمهيد: مفهوم الاستعمار، والعبودية، والقانون في العصر الحديث.

أولا: تعريف الاستعمار.الاستعمار: ترجمة (Colonialism)، وهو: " نزوع الدولة إلى استعمار البلدان الأخرى، أو الاحتفاظ بسيطرتها الاحتلالية عليها"(البعلبكي،١٩٨٣. ص١٩٣)، وهي نمط من "سيطرة الدولة المستعمرة على أراضي لتحقيق مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية، وفرض ثقافتها على السكان الأصليين، ويؤدى الاستعمار لاستيطان جماعات من الدولة في الأرض المستعمرة". (Webster's,2001.p226). والاستعمار أحد صور الاحتلال:(Occupation) والتي تعنى "أخذ وسيطرة دولة على أرض أو إقليم، بقوة الجيش، أو ضم الدولة بقوة الزحف العسكري لضم دولة أخرى". (Webster's,2001.p802).

ثانيا: تعريف العبودية في القرن السادس عشر الميلادي.العبودية: ترجمة (slavery)، وهو مصطلح قديم، اختلفت معانيه، ودلالاته، وأسبابه، وفي اللغة العربية يقابله أكثر من لفظ "الرق، العبودية، والرقيق العبد، وسمي العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويخضعون"(ابن منظور،١٩٩٠. ١٠/ ١٢٤)، وفي معجم وبستر "وقوع شخص في العبودية، وفي إمرة غيره، أو خضوعه لتحكم آخر". (Webster's,2001.p1099)، وقد ارتبطت العبودية الجديدة في الغرب باستعمار الأراضي الامريكية،" في عام ١٦٧٥، أصبحت العبودية راسخة، وبحلول عام ١٧٠٠ حل العبيد محل الخدم المستأجرين بالكامل تقريبًا، ومع توفر الأراضي الوفيرة وعمالة العبيد للزراعة، ازدهر المزارعون الجنوبيون، وأصبحت مزارع التبغ العائلية هي القاعدة الاقتصادية والاجتماعية" (Blackburn,1988.p3).

ثالثا: علاقة القوانين بحياة البشر.الإنسان مدني بطبعه، ومفعوم الاجتماع البشري يبدأ من الأسرة، ثم الجماعة ثم القرية والمدينة، وكل تجمع بشري يتطلب رياسة وسياسة يضبط بها النظام بين الناس (ابن خلدون،٢٠٠٤.ص٢٨٨)، ولا يمكن أن يقام الدين وتتحقق مطالب الحياة إلا بالسياسة والحكم، وهذا قول فقهاء المسلمين، فقال الغزالي: "نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع...ونظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن...فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية" (الغزالي،٢٠١٢.ص١٤٢) ، وقال ابن تيمية:" المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق الذين متى فاتهم خسروا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم، وهو نوعان: قسم المال بين مستحقيه، وعقوبة المعتدين"(ابن تيمية، ٢٠٠٨.ص٣١)، وبين ابن تيمية أن في الملك والأمراء ما يحمد وما دون ذلك: " النصوص الواجبة لنصب الأئمة والأمراء، وما في الأعمال الصالحة التي يتولونها حمْدٌ لذلك وترغيب فيه"(ابن تيمية، ١٩٩٧.ج٣٥/ص١٦).وفي مفهوم القانون في فلسفة السياسة في العصر الحديث، كتب د. حنفي: "القانون على الاطلاق هو اندراج جميع الافراد في مجموعة معينة تحت قاعدة واحدة، ويعتمد القانون إما على الضرورة الطبيعية أو على القرار الإنساني"(اسبينوزا،٢٠٠٥. ص٥٧)يعد أول طرح حديث في النظرية السياسية، والعقد الاجتماعي؛ عند توماس هوبز في كتابه اللوايتان (Leviathan) والدولة التي يدعوها اللوايتان ملكية متطرفة، وهي ابتكار صناعي ليست من الطبيعة في شيء، قدم هوبز نظريته مفرطا في التبسيط، حتى ناله النقد وكثر خصومه، وناقديه. (رسل، ٢٠١١.ج٣/ ص٨٥- ٩١).

المطلب الأول: التعريف بجون لوك وسيرته السياسية.

أولا: سيرته الشخصية.جون لوك (١٦٣٢- ١٧٠٤) انجليزي ينحدر من فرقة بروتستانتية تسمى (Puritans) وتعني المتطهرين، كان والده محاميا، وأشرف على تدريسه في طفولته، ولما شب درس الطب، وخالط أكبر قدر من شرائح المجتمع السياسي والديني، "كان لمعالجته الطبية للورد إيرل الأول لشافتنسبري؛ عضو الوزارة، ورجل سياسة له مكانته في عهد الملك شارل الأول –أثراً على مسيرة لوك- فجعلت هذه المعالجة من لوك متعمقاً في السياسة الإنجليزية حيث شكلت الأحداث والرجال أفكاره"(ديورانت، ١٩٥٣، ٣٤/ ص٤٣)، وبسبب الاضطرابات السياسية في إنجلترا هاجر لوك لهولندا، وبقي فيها فترة يؤلف عدداً من رسائله، وبعد أن استقر الأمر السياسي عاد إلي إنجلترا (رايت،٢٠١٠، ص١٥٥).

ثانيا: سيرته السياسية.انخرط لوك في السياسة اليمينية (Whig politics)، ونشط في الحركة للإطاحة بالملك الكاثوليكي جيمس الثاني، وتولي البروتستانتي ويليام الثالث عرش إنجلترا في الثورة المجيدة عام ١٦٨٨م. وبعد أن أصبح العرش مستقراً في الخلافة البروتستانتية، بدأ لوك في نشر أعماله؛ في نظرية المعرفة، والفلسفة السياسية، وقد تركز نشاط لوك أكثر وبشكل مباشر بمعاهدات الحكومة، حيث ظهرت مؤلفات لوك الرئيسية في السياسية في عام ١٦٩٠(Allemand,1976. p.804) ، وأهم المناصب التي تقلدها هي عمله سكرتيراً لمجلس المستعمرات ومساهمته في كتابة دستور مستعمرات أمريكا؛ ومنها كارولينا الأمريكية. (ديورانت، ١٩٥٣، ٣٤/ ص٤٤).

المطلب الثاني: فلسفة الاستعمار في مؤلفات جون لوك.

أولا: نصوص فلسفة جون لوك في الاستعمار.

ألف جون لوك عدداً من الرسائل الفلسفية في المعرفة والسياسية، ومنها كتاب رسالتان في الحكم المدني تتضمن أفكار لوك السياسة وفلسفة الاستعمار، حيث ينطلق في مفهوم العقد الاجتماعي وتكوين الدولة، من فلسفة الحق الطبيعي، ثم تعضيدها بأدلة من نصوص دينية.فلسفة الحق الطبيعي تنطلق من القانون الطبيعي، يقول مونتسكيو: "قوانين الطبيعة هي التي تدعى بهذا الاسم لاشتقاقها من نظام وجودنا، ولمعرفتها يجب أن ينظر للإنسان قبل قيام المجتمعات"(مونتسكيو،٢٠٢١.ص٢٩)، وبالتالي هو قانون بدائي، لكنه قدم بشكل فلسفي مع ظهور الفلسفة الرواقية القديمة التي نصت على أن" هذا العالم يحكمه العقل، وإن اختلف الناس في الأمور غير الجوهرية؛ فإنهم يشتركون في طبيعتهم الجوهرية وهي العقل، وحيث أنهم مخلوقات عقلية فيجب أن يكونوا دولة واحدة، والفضيلة تتأسس على العلم ومن ثم على المعرفة" (ستيس،٢٠٠٥.ص٢٢٤)، وهو ما تطور لاحقاً في العالم الغربي باسم اللاهوت الطبيعي" فهم الطبيعة ووجود الرب وواجب الإنسان نحوه، حيث اعتقد بعض الناس في العالم الغربي أن الحرية والخلود للبشر ممكنة منطقياً، مع الاخذ بالاعتبار الفكر والتجربة الإنسانية، وهو يتعارض مع الوحي وبعثة الأنبياء والرسل، ويعد اللاهوت الطبيعي ممثلا في الوحي الذاتي عند بعض دعاته، كأساس مقبول للفهم اللاهوتي وعلم الدفاع عن العقائد النصرانية، هذا المعتقد ظهر في التوماوية، والارثوذكسية المحدثة"(هيلنس,٢٠١٠. ص ٤٩١)أما النص الديني الذي عضد به جون لوك فلسفته؛ فهو ليس أكثر من "تكرار للنظريات المدرسية في العصور الوسطى خاصة عند القديس توما الاكويني" (رسل،٢٠١١. ج٣/ ص١٧٤)، فالفصل الخامس في الملكية من الرسالة الثانية في الحكم، يقول لوك: "سواء اعتمدنا دليل العقل الطبيعي الذي يقضي بأن للبشر منذ ولادتهم الحق بالبقاء، وما يلحق به من المأكل والمشرب وما شابهه...أو من الوحي الذي يبسط لنا كيف وهب الرب العالم لآدم ولنوح وأولاده، فمن الواضح أن الرب كما يقول الملك داوود (مزمور١١٥ :١٦) {وقد أعطى الأرض لبني آدم} أي أعطاها للبشر جميعا"(لوك، ١٩٥٩.ص١٥٢).من القانون الطبيعي ومن النص الديني الذي يوظفه لوك من أجل غايته بعيدة المدى، يجعل العالم كله مشاعاً لجميع البشر يقول:" أعطى الله أبناء آدم الأرض شركة بينهم، جميع ما على الأرض من ثمار تنتجها النباتات ووحوش وبهائم ملك للجميع، وليس لأحد حق أصلي بالاستئثار بشيء منها دون بقية البشر، إذا ماتزال أراضي بكر لم تستثمر، أو حيوانات طليقة حرة" (لوك،١٩٥٩. ص١٥٣)، من هذا النص يجيز جون لوك لأي إنسان أن يمتلك أرضاً في أراضي الأخرين ما دامت غير مستثمرة، وفي حال كان فيها من يستثمرها فلابد أن يستغرق ذلك الاستثمار كل شبر فيها، ويضمّن ذلك في رسالة التسامح، فيجعل جون لوك دور الدولة لذلك الغرض:" الدولة مجتمع من البشر يتشكل بهدف توفير الخيرات المدنية والحفاظ عليها وتنميتها، كالحياة، والحرية، والصحة، وراحة الجسم، بالإضافة إلى امتلاك الأشياء كالمال، والأرض والبيوت"(لوك،١٩٩٧. ص٢٨) ثم يقدم لوك الطرق التي تمكّن الرجل الإنجليزي من اكتساب حقه من تلك الأراضي والتي يصفها أنها مشاعة بين كل الناس، وخاصة في الأراضي الامريكية" كل ما يتسنى للمرء أن ينتفع به قبل أن يفسد يحق له أن يتملكه بكده، وكل ما فاض عن ذلك فهو يربو على نصيبه فكان إذن ملكاً للآخرين، فالله لم يخلق شيئاً كي يفسده الأخرين" (لوك،١٩٥٩. ص١٥٦)، بالتالي يقرر أن ليس للسكان الأصليين سوى ما يكفيهم من التقاط الثمار والصيد لغذائهم، وكفاية حاجتهم، وما بقي فهو ملك للرجال المهاجرين، حيث يستثمرون الأراضي بالزراعة والإنتاج.تظهر نزعة لوك الاستعمارية في صياغة حجة تبرر الاحتلال وانتزاع الأرض من سكانها الأصليين، وتتمثل بالتالي: الأراضي المشاعة في إنجلترا فقط لا يحق لأحد الاستيلاء عليها، وذلك لوجود قانون يخضع له جميع الرعايا، وهذا القانون لا يمكن خرقه، فهي وإن كانت أراضي مشاعة فهي ليست للكل، الأمر الثاني: أن الأرضي من غير إنجلترا أو الدول الأوروبية والتي لا يوجد لها قانون يخضع له جميع الناس فيها، وكان بينهم منازعات وتناوش بين عشائرهم وما من قانون وسلطة تشريعية يخضعون لها هي مشاعة (لوك،١٩٥٩. ص١٥١)، الثالث: كل من يترك استثمار تلك الأراضي فهو يتلف ما وهبه الله للناس، وهو يسئ لناموس الطبيعة العام واستحق العقاب، فأمريكا غنية بالأرض الخصبة، فقيرة بمرافق الحياة، وهذه مفسدة، يقول:" فإني أعلن دون وجل أن قاعدة الملكية هذه أي أن لكل أمرئ الحق بامتلاك ما يستطيع استثماره ما تزال صحيحة ما دام في العالم من الأرض ما يكفي"(لوك،١٩٥٩. ص١٥٣).استخدم جون لوك كل السبل لتحقيق الاستعمار، وإن أدى للتناقض بين مؤلفاته ونصوصه، من ذلك ما نص عليه في رسالة في التسامح؛ بأن على النصراني وجوب:" تطهير النفس من الآثام والأفعال الخاطئة، وهذا غاية النصرانية في دعوتها، لا محاربة الناس وقتالهم لقبول معتقد بعينه...وأن تطهير النفوس ليس من شأن الحاكم أو أي شخص آخر" (لوك،١٩٩٧.ص٢١– ٢٤)، ولكنه في كتابه الحكم المدني حرص على توظيف كل السبل لضبط الاستعمار وتسريعه وتوطينه؛ ومن ذلك استخدام التنصير، الذي كشفته الأبحاث من خلال السجلات والدساتير الرئيسية لعدد من الولايات في أمريكا "الوثائق الاستعمارية الإنجليزية القديمة والمكتشفة حديثًا أن لوك دعم الجهود المنظمة لنشر النصرانية بين عبيد العالم الجديد والهنود واستخدام نفوذه داخل مجلس التجارة للملك ويليام لتعزيز هذه الجهود"(Turner, 2011. P270).

ثانيا: الجدل العلمي حول فلسفة جون لوك في الاستعمار.

تعد حجة لوك في الاستعمار محل نزاع علمي في الغرب؛ فمنهم من يسعى لتبرئة ساحته، ومنهم من أثبتها وفق مبرر بعينه.تعد الزراعة ووفرة الإنتاج، وما يتعلق بها من التجارة ووفرة المال؛ أكثر المبررات التي تناولها الباحثون حول فلسفة لوك الاستعمارية بعموم، ففي الزراعة يقول رسل: "فيما يخص الإنتاج الزراعي كان من المسلم به عند المدرسة التي ينتمي لها لوك أن ملكية الفلاح هي أفضل نظام"(رسل،٢٠١١. ج٣/ ص١٨٦)، ومع ضيق الأراضي الإنجليزية على المزارعين طبق لوك هذه الفلسفة في سياسة الاستعمار "من المؤكد أن لوك كان مؤيدًا لممارسات المزارعين الإنجليز، وفي نظرة هي أكثر كفاءة من الطريقة التي يستخدم بها الهنود الأمريكيون لأراضيهم، حيث أثار ذلك استياءه ترك الهنود سبل تطور الحالة الطبيعية، وما من سبيل للاستثمار إلا بتنشيط المال والتجارة بملكية أكبر للأراضي والزراعة التجارية، فحالة الهنود في الصيد وجمع الثمار وزراعة الكفاف جزء من مرحلة تطور الحالة الطبيعية، ولكنها لا توفر الازدهار الذي يأتي مع نمو المال والتجارة والثروة" Uzgalis, 2017.p (29)التنصير؛ ذهب عدد من الباحثين إلى أن الاستعمار في مؤلفات لوك كان لغرض التبشير بالبروتستانتية حيث " يجادل المروجون لاستعمار الإنجليز الأوائل، مثل ريتشارد هاكلويت وصامويل بورتشاس، بأن الغاية الرئيسية لإنشاء مستعمرات العالم الجديد؛ توسيع نطاق إنجيل المسيح"(Turner, 2011. P271)، وهذا القول يناقض غايات لوك الليبرالية، وبذور البرجماتية في فلسفته، فهو وإن كان يساند التنصير في المستعمرات لأنه وسيلة وليس غاية، ولذلك تناولت الدراسات الغربية رسالته في التسامح الديني أنها وسيلة، وأن غايته الضمنية هو بسط أكبر نفوذ على السكان الأصليين بجعلهم رعايا خاضعين لدين الحاكم النصراني "البحث العلمي يغفل جوانب أخرى وظفها جون لوك لتحقيق أسرع الطرق للاستعمار، على الرغم من ثراء الأبحاث الحديثة، إلا أن أيًا منها لم يكشف بشكل كامل عن الدور الحاسم للرسالة النصرانية في نظرية التسامح التي وضعها لوك أو في مساعيه الاستعمارية الإنجليزية. لقد أدت الدراسات لرسالة لوك في التسامح وسياقه التاريخي إلى تجديد فهمنا لكيفية ترويج لوك وحلفائه للتسامح جزئيًا لأنهم اعتقدوا أنه أفضل طريقة لكسب أخرين إلى الإيمان البروتستانتي، ولكنها دراسة أغفلت الطرق التي رأى بها لوك أن رسالة التسامح والتبشير متحالفان بشكل طبيعي، ويفشل في استكشاف العلاقة المعقدة(الازدواجية) بين العبودية الأفريقية والحرية النصرانية في فكر لوك" (Turner, 2011. P268).التجارة؛ برر وليم رايت أن سبب عناية جون لوك بالاستعمار أنه عاش عصراً تجارياً جعله يكتب دفاعا عن ثورة هدفها حماية النشاط التجاري لرجال الأعمال ضد التدخل الملكي، وأنه سعى لتأسيس أصل حقوق الملكية في استغلال الأرض البكر، وأن المزارعين الإنجليز اكتسبوا حق تملك الأرض في أمريكا تطبيقا لقوانين لوك (رايت،٢٠١٠. ص١٧٨)، هذا الموقف من رايت متأثر بالفكر الاقتصادي الأوروبي، حيث يبرر للوك بسبب فوائد النشاط التجاري، ولأن الغاية تبرر الوسيلة؛ تبرز نظرة لوك في وفرة الإنتاج الزراعي للأراضي البكر والواسعة من قبل التجار والمزارعين الإنجليز، مقابل ما ينتجه السكان الأصليين، ووفق قراءة لاهوتية تمنح حق إزالة ما يراه لوك أنه عمل غير بشري.السياسة؛ يجعل لوك نفسه على قمة التسلسل الهرمي المعرفي الذي يعلي المعرفة الإنجليزية البروتستانتية على أي معرفة سياسية، وينهض بتمكين الإنجليز الحق في التوسع السياسي في تسابق مع الاستعمار الأوروبي، لذلك استخدم لوك التبشير لتحقيق مكاسب تجارية ولوجستية... ولقد رأى لوك أن المهمة النصرانية البروتستانتية في نيويورك الاستعمارية لم تكن غاية دينية فحسب، بل كانت وسيلة جيوسياسية لتأمين الميزة الإنجليزية، والتوسع في أراضي الهنود الأمريكيين بأكبر قدر ممكن. (Arneil, 1992.p156)العنصرية والتفوق العرقي؛ وذلك بتجاوز المفاهيم المعرفية والمقدسة للسكان الأصليين للزمان والمكان، ليصل جون لوك لنتيجة سعى لها بجعل الأرض مجردة خالية من الفعل البشري، عدا من الرجال أهل العقل وهم الإنجليز، فالأرض وهبها الخالق للعقل الكادح لكي يستثمرها (لوك،١٩٥٩. ص١٥٦)، يعلق أحد الباحثين على موقف لوك فيقول: "الترخيص اللاهوتي للمزارعين الإنجليز لاستعمار الأمريكيتين من خلال جعل الشعوب الأصلية خارج القانون العام للعقل، وجعلهم أعداء مجرمين يزالون بحرب عادلة إذا قاوموا الاستيطان... نظرية المعرفة واللاهوت البروتستانتي والمصالح الاقتصادية لتأسيس نموذج المزارع للاستعمار في الأمريكيتين لا يمكن اختزالها لمبرر اقتصادي علماني لزيادة إنتاجية الأرض والعمل داخل الدوائر العالمية لتراكم رأس المال" (Kolia,2015.p126).ويحاول عدد من الباحثين إبعاد تهمة الاستعمار عن لوك بنفي أي مشاركة فعلية في الاستعمار أو تثبيته، وقد أثبت جاك تيرنر مشاركة جون لوك في كتابة وتأليف الدساتير الرئيسية للمستعمرات في أمريكا، ونص على الدساتير الأساسية لامتلاك ولاية كارولينا، واستدل بوجود إجماع علمي أن لوك وإن لم يكتبها جميعها، فقد ساهم بشكل كبير في كتابتها دل على ذلك أسلوب المخاطبات واللغة التي تميز بها لوك في مؤلفاته الفلسفية (Turner, 2011. P276).اتجاه المنفعة الفردية؛ ذهب أحد الباحثين إلى تطرف لوك في نظريته تجاه المنفعة الفردية، وليس الجماعة الممثلة في الدولة: "من المؤكد أنه لا يوجد شكل حقيقي للجماعة في دولة لوك الليبرالية، على الرغم من موقفه من المذهب التجاري، حيث لا يوجد سوى أصحاب المصلحة الذاتية الذين يتحدون معاً لحماية مصالحهم الخاصة، حتى الحرية باعتبارها عدم الخضوع لسيطرة ما؛ تترجم إلى منع عام من تدخل الأفراد والدولة على حد سواء، بالتالي يؤدي ذلك إلى ترسيخ

المصالح الخاصة من الناحية القانونية" (Corradetti,2022.p304)، وبالتالي يعد لوك من المؤسسين لليبرالية والبرجماتية الأمريكية (جيمس،٢٠١٦.ص٣٧).العلمانية المقنعة؛ بالرغم من أن العديد من الباحثين يذهبون إلى أن لوك يدعو إلى فصل الدين عن السياسة، تكشف تفاصيل نظريته أنه دعا إلى إلغاء المؤسسة الدينية فقط بالمعنى المحدود، فعند جون لوك توصف الجهود الإنجيلية البروتستانتية التي يبذلها القضاة بأنها شكل من أشكال المؤسسة، لأنها ترسخ البروتستانتية كمعيار اجتماعي وسياسي؛ فيجعل تحول المرء للبروتستانتية شرطا أساسيا لعضوية كاملة في المجتمع السياسي، بالتالي التزامات لوك التبشيرية في التسامح لا يصل للفصل الصارم بين الكنيسة والدولة. (Turner, 2011. P296).مما سبق فبعموم؛ الحروب ظاهرة اجتماعية، سواء بين الشعب الواحد أو الدول، وقلما تنجو جماعة من الحرب، لكن في حالة حرب الإنجليز مع السكان الأصليين في أمريكا، فقد كانت تلك الحروب مسبوقة بسياسة الدراسة والتخطيط، وتنوع الأسلحة المتطورة، ولذا كانت لهم الغلبة المتوقعة، بالرغم من أن سمة البداوة غالبة في السكان الأمريكيين الأصليين، وصف ابن خلدون الأمم الوحشية أنها أقدر على التغلب ممن سواها فقال: "لما كانت البداوة سببا في الشجاعة فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم"(ابن خلدون،٢٠٠٤.ص ١٤١)، وبالنظر في حالة السكان الأصليين في أمريكا حيث يغلب عليهم وصف البداوة من حيث الصيد والتنقل، وجدها لوك مثلبة يعيبها فيهم، لقد كانت أطماع الاستعمار هي الأساس، وبالتالي جاءت التبريرات من قبل الباحثين ضعيفة وغير مقنعة، ذلك أن حجة لوك في تبرير استعمار أراضي الشعوب غير الإنجليزية؛ لها حضور مُلح لم يتوقف عن النمو في عقله وروحه، فقد نشأ في وسط البيوريتانية (puritanism) المتعطشة للنفوذ من خلال التمرد، وهي حركة انجليزية في القرن السادس عشر و"تستند تعاليمهم إلى الإيمان بالكتاب المقدس مصدراً وحيداً للعقيدة الدينية، وكانت الحركة عنصرا في الحرب الأهلية الإنجليزية... وقد طرد البيوريانية من الكنيسة وعذبوا إلى أن حققوا سياسة التسامح الديني في عام ١٦٨٩م، شريحة كبيرة منهم هاجروا للمستعمرات الأمريكية وكان لهم نفوذ على الدين والمجتمع"(هيلينس,٢٠١٠. ص٥٦٨)، ومن ناحية أخرى قراءات جون لوك السابقة، وتوسعه المعرفي حول العالم الجديد، مما تضمنته مكتبته من مؤلفات كثيرة للرحالة حول العالم –والتي أغفل جون لوك ذكرها تماماً–التي تكشف له عن عالم جديد يمكنه من بناء عالم سياسي مادي فعلي لفلسفته الاستعمارية الاقتصادية. (Arneil, 1992.p38).

المطلب الثالث: فلسفة العبودية في مؤلفات جون لوك.

أولا: نصوص فلسفة جون لوك في العبودية.

تعد نصوص جون لوك في الاستعمار متضمنة لمفهوم العبودية واسترقاق الناس لتحقيق هدف التوسع السياسي لتحقيق أكبر قدر ممكن من النشاط الاقتصادي ووفرة المال.ترتكز فلسفة لوك في ممارسة الاستعباد في عدد من الأوجه:الأول: السكان الأصليين في حالة طبيعية لم تتطور ولم تستثمر لذا هم مثل الأرض يحتاجون من يطورهم، ولا يحق لهم التملك. (لوك،١٩٩٧.ص١٥٣)، وفي حالة أنهم خرقوا القانون المدني في أرضهم فإنهم يخضعون للعقوبة، فسلب الحياة والحرية هي عقوبة المجرم(لوك،١٩٩٧.ص ١٤١)الثاني: أنهم في حالة معاداة متوقعة للملاك والمزارعين، وذلك لأنهم لا يخضعون للقانون الإنجليزي، وهم باقون حتماً في حالتهم البدائية، ولا قانون بينهم يسود جميع عشائر الهنود ولا الأفارقة؛ معترف به عند لوك، بالتالي توقع مهاجمتهم مستقبلا يفرض قتلهم، وفي أخف الحالات استعبادهم بحرمانهم من الحرية. (لوك، ١٩٩٧.ص ١٥٠)الثالث: أنهم عصاة معاندين للأمر الإلهي بأن الرب منح البشر جميعا حق البقاء واستثمار الأرض وتحقيق أفضل نتاج منها، لذا يجب أن يعاقبوا بالقتل أو بحرمانهم من الحرية. (لوك، ١٩٩٧.ص ١٥٩)كان لوك في تأليفه رسائله يعمل وفق تفكير استباقي اصطنعه ونماه، ليسهل تطبيقه على السكان الأصليين، يقول كوليا: "إن نظرة لوك حكمت على الهنود بشكل حتمي أنهم لن يستثمروا تلك الأراضي الشاسعة وبالتالي لن يتغيروا أبدا فهم باقون أبدا على وضعهم الطبيعي، بالتالي سلب أرضهم واستعبادهم؛ أمر مقرر سابقا عنده" (Kolia, 2015.p125).في كتاب رسالة في التسامح ينص جون لوك على أن الحقوق المدنية منصوصة فقط لمن يخضع للحاكم النصراني، ويعيش تحت مظلة دولته:" ينبغي ألا يحرم أي انسان من متع الدنيا بسبب دينه، حتى الأمريكان الذين يحكمهم أمير نصراني ينبغي ألا يعاقبوا عقابا يمس أبدانهم أو خيراتهم لمجرد أنهم لا يعتنقون إيماننا وعبادتنا"(لوك،١٩٩٧. ص٤٦)، وبالتالي كل أمريكي أصيل لا يخضع للحاكم الإنجليزي النصراني؛ فهو باقي على حالته الطبيعية، وتناله العقوبات، والاستعباد، والقتل، لقد أسفر لوك عن عنصرية شديدة تجاه الأخرين، وهو في رسالته للتسامح إنما يغذي تعصبا جديداً، فالتعصب غير مقيد بدين أو نظام أو قانون يقول وهبه: "أولئك الذين يرفعون شعار الحرية لتدعيم النزعة الوحشية للمواقف الراهنة... طغيان الأغلبية على الأقلية...إن التسامح ينطوي على نقيضه وهو عدم التسامح، وهذه إشكالية التسامح...إن أي نظام اجتماعي يرقى إلى مستوى المطلق؛ يتعصب ضد أي اتجاه ينشد تغيير الوضع القائم... والتعصب انتقال من مطلق إلى آخر"(وهبة،١٩٨٧.

ص١٥٦- ١٥٨)"، كان لوك يقصد التسامح الديني بمعنى؛ إنه ليس من حق أحد أن يقتحم باسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية"(لوك،١٩٩٧. ص٧)، لكنه أقر ذلك التعصب في حكومته المدنية.

ثانيا: الجدل العلمي حول فلسفة جون لوك في العبودية.

باستخدام روايته للحالة الطبيعة، وصف أحد الباحثين موقف لوك: "حين يصور القانون الطبيعي الأشخاص في حالة الطبيعة أنهم جزء من الطبيعة، وأن سبل استثمار الطبيعة لمثل هذا المخلوق هو العبودية، لوك لم يصرح بها مباشرة إنما ضمنها في الفصول الثلاثة الأولى من الرسالة الثانية في الحكم المدني (Uzgalis,2017.p 4)من مفهوم الحرب انطلق لوك في فلسفة العبودية، حيث قرن بين الحقوق الطبيعية والقانون الطبيعي والعبودية، إن الشخص الذي يبقى في حالته الطبيعية البدائية يضع نفسه في حالة حرب، ذلك أنه ينتهك قانون الطبيعة، حيث يجعل نفسه بمستوى الوحوش البرية، لذا يمكن أن يُقتل أو يُستعبد بشكل مشروع، وليس لون بشرته هو الذي يجعله موضع عقاب عادل، بل طبيعته المخالفة لشرط امتلاك حقوق الإنسان، يوضح لوك السبيل الوحيد الذي يُنقل فيه الإنسان من كائن حر إلى مملوك مستعبد، وذلك بممارسة الرجل الإنجليزي حق النفس المستثمرة العاقلة التي انتصرت في الحرب، أن تقتل المعتدي الظالم أو أن تستغله باستعباده، يصف لوك العبودية المشروعة بأنها استمرار للحرب بين المنتصر العادل والمعتدي الظالم.(Uzgalis,2017.p 27)مثلت الدساتير السياسية الخاصة بالمستعمرات في الشرق الأمريكي، والرسائل المتبادلة بين جون لوك السكرتير للمستعمرات، وبين التجار والملاك وأصحاب النفوذ سواء في تجارة الأرض أو الاستعباد، مادة علمية خصبة تبين دور لوك في تثبيت العبودية ونشرها وتنميتها، فطرح بعض الباحثين أحد الاعتراضات؛ بأن الدساتير الرئيسية الخاصة بالمستعمرات لم يكتبها جون لوك، بل كتبها مسؤولون غيره، وقد فند الباحث كوندف ذلك من خلال مقابلة مؤلفات لوك بنصوص تلك الدساتير، يقول: "ظهرت اللغة المستخدمة في الدساتير تأثير بين من كتابات لوك الفلسفية، ما يدل على وجود الرابط القوي في اختيار الكلمات يدل على أن لوك هو من قام بصياغته، من خلال التركيز على النشاط الاستعماري الإنجليزي والأوروبي، ظهر أثار لوك الواضحة بما يفسح المجال للنزعة الإقصائية عنده، وهذا واضح في تحليل مقال بخصوص الفهم الإنساني ونظرية الملكية"(Cundiff. 2021.p102)، إلا أن تخفيف دور لوك جاء في أنه وضع الأساس للعبودية ولوائحها في المستعمرة، لكنه لم يمارس أي عمل في تحقيق العبودية الأمريكية وإدامة ممارستها.(Cundiff. 2021.p103)من الممكن أن تجسد هوية لوك فلسفته الاستعمارية إذا فُهمت على أنه مؤلف أوروبي ومستعمر يصور الآخر لمصالحه الشخصية أو الوطنية، ويمعن في استغلاله، حيث قصد لوك بفلسفته الجمهور الإنجليزي والأوروبي، لذلك سعى لتقديم وجهة نظر أوروبية عن الآخر للاستهلاك والاستغلال الأوروبي، كانت حمية لوك ظاهرة للمواطن الإنجليزي وخاصة المزارع، بجعل من سواه قرباناً، يقول رسل: "نص على أن للإنسان أن يملك من الأرض بقدر ما ستطيع، وتحقيق ذلك في أوروبا يبدو عسيراً دون ثورة دموية" (رسل،٢٠١١. ج٣/ ص١٨٧)، ولأن الدماء الأوروبية عامة والإنجليزية خاصة عزيزة على لوك؛ هو ما جعله يتجاهل أي من الشعوب الأخرى غير الأوروبية لأنها غير مهيئة لإدارة واستثمار الأرض وما عليها، كونهم لا يملكون ويطبقون نظام الحكم الذاتي مما يقلل من رؤيتهم للحكم الذاتي وتصويرهم على أنهم أقل شأنا من الأوروبيين، فجعل الملكية والحقوق والاستقلالية والفكر مقصورة ومخصصة للأوروبيين.مثلت كتابات لوك القانون النافذ في تعامل التجار والملاك الأوربيين والإنجليز خاصة، مع السكان الأصليين والأفارقة، فكل من يعارض هو خصم خاسر، يقول كويندف: "حين حاولت جماعات السكان الأصليين حماية منطقتهم وأرضهم من المستعمرين؛ نظر الأوروبيون إلى هذا على أنه تهديد غير عادل، معتقدين أنهم الممثلون العادلون على أساس نظرية لوك للحرب العادلة من خلال الحرب المتفوقة، هذا ما أثبته المستعمرون الأوائل وأنهم من ينتصر في الحرب، وبالتالي يمكن أن يعرض الأطراف المغلوبة للاستعباد"(Cundiff. 2021.p105) موقف جون لوك من العبودية محل جدل ومداولة الأبحاث والمناقشات العلمية، سواء لتبرير موقفه، أو نقده، وربما وصل لالتماس أعذار تبرر وجوده في هذا المأزق لأسباب خارجة عن إرادته.طُرح الجدل حول جون لوك في عنصريته بأنه يرى الهنود الأمريكيين غير قادرين على تطوير أنفسهم، أو ممارسة عمل يطور استثمار الأرض، حيث أنهم لم يغيروا علي طبيعتها شيء، بالتالي فإن الهنود الأمريكيين يظلون مقيمين بشكل دائم في حالة طبيعة، وغير قادرين على تحقيق الوعي الذاتي الفردي كما هو الحال لدى الإنجليز، لذا يفتقدون سبل إعادة تشكيل الذات، بحيث ينتقلون من الحالة الطبيعية (الخام) إلى فرد عقلاني يمكنه تكوين ملكية خاصة ومن ثم تشكيل مجتمع سياسي مدني يسوده قانون يخضعون له، ويصور الباحث كوليا طريقة لوك في فلسفة الاستعباد " بعد إدراج مفهوم السكان الأصليين للأرض ضمن الإيديولوجية الإنجليزية والبروتستانتية، فإن الإمكانية الوحيدة للعلاقات بين الإنسان والأرض التي يمكن أن يتصورها لوك، بسبب موقعه المعرفي ضمن المنظومة الاستعمارية للسلطة، هي إخضاع الطبيعة وما عليها –ويشمل الهنود الأمريكيين– من خلال تراكم الملكية الخاصة والامتيازات عبر الزراعة" (Kolia, 2015.p124).تعد مسألة العبودية عند لوك صعبة في تبريرها،

فإذا أمكن دفع تهمة الاستعمار عنه؛ صعب تبرئته من فلسفة الاستعباد، فجرائم الاستعمار لم تكن غاية لدى لوك، وتشير بعض المؤشرات إلى أن أكثر شيء شغل تفكيره هو أمريكا والاقتصاد وتنمية التجارة، وكيفية تبرير امتلاك الأرض، ويبرر أحد الباحثين أن نقد فلسفة جون لوك حملت بعض الباحثين على قصر اتهامه بالعنصرية تجاه غير الأوروبي "كان هدف بعض الباحثين في أعماله عند تبرير الجرائم الاستعمارية المروعة، لتصويره عنصريًا أو أوروبيًا مركزيًا، ولكن بالنظر إلى طبيعة الرسالة الثانية للحكومة، تظهر تنظيرا لليبرالية، وليس للدفاع عن الإجرام الاستعماري، أما ما يتعلق بالعبودية حيث يظهر التناقض بين دفاع لوك عن الحقوق والحريات للمواطن الإنجليزي، وتورطه في تجارة الرقيق والعبودية، ومن المؤكد أن لوك لم يكن الوحيد الذي وقع في هذا التناقض" (Uzgalis, 2017.p 12) ، وهذا النص صريح في تهمة الاستعباد، وغير مقبول في دفع تهمة الاستعمار ، فلا يمكن إغفال جميع ما قام به لوك من مشاركة في الاستعمار والعنصرية والاستعباد.عدد من الباحثين ممن لم يبذلوا إلا القليل من الاهتمام بأصول فلسفة جون لوك، في تبرير مساندة لوك للعبودية، وهو تبرير عجيب أوردته الباحثة والشمان: "أنه يُعزى لنقص في تعليم لوك أو تنشئته الاجتماعية، بالتالي لو نشأ لوك في مجتمع يعترف بالأفارقة كبشر تنطبق عليهم مبادئ حقوق الإنسان، أو لو تم إبلاغه فقط عن عبودية العالم الجديد، لما فكر أبدًا، ناهيك عن تقديم، دفاعًا عن العبودية" (Welchman,1995.p.69)، علقت الباحثة والشمان على هذا الموقف: " بالرغم من أنه قد يكون من المريح الاعتقاد بأن تناقض لوك نشأ ببساطة من معتقدات خاطئة، إلا أن هذا الحل لا يمكن دعمه بالأدلة الصحيحة، فليس لدينا أي سبب لنفترض أن لوك لم يكن قادرًا على التعرف على الأفارقة باعتبارهم إخوانهم في الإنسانية. وتشير ملاحظاته القليلة المحددة حول الأفارقة إلى ذلك" (Welchman,1995.p.69).ومن الدفاعات عن فلسفة لوك في الاستعباد، أن غايته هو نشر النصرانية بين الهنود والأفارقة بشكل قسري، وأن "خلفيته الدينية والاجتماعية وخاصة في تشدد البيوريتانية من المهاجرين الانجليز هو ما دفعه لاستعباد الناس لإلزامهم بالخلاص النصراني وهذا الرأي منتقد، من الواضح أن بعض هذه الدوافع لم تكن لدى لوك، نعم كان هذا المسلك عن بعض الملاك الآخرين لكن لم يكن عند لوك "(Uzgalis, 2017.p 12)، ولا يخفي ما في هذا التبرير من الدفاع عن جون لوك.وقد، ذكر أحد الباحثين هذا التبرير وأنه منتشر عند عدد من الباحثين، لكن ليس للخلاص النصراني "عناية لوك بالتنصير شبه القسري للعبيد الأفارقة باعتباره جهدًا مفيداً لتحسين أحوالهم؛ لأن رؤيته الاستعمارية إمبريالية روحية، ولعل هذا أفضل وصف لاهتمامات لوك التبشيرية النصرانية" .Turner, 2011) P270).مما سبق لا يمكن دفع تهمة استعباد الناس عن لوك؛ فالمرتكز الذي بنى عليه لوك نظريته الاستعمارية متمثلة في صياغة تستبطن مفاهيم أخرى خطيرة منها العبودية، فمن من خلال تعميم مفهوم الإنسان على أنه الذات الفردية الكادحة والعقلانية، يعلن لوك مواقفه القائمة على السياسة اللاهوتية و الأنا للمعرفة، أي على نظرية المعرفة عند نقطة الصفر حيث لا معرفة إلا ما تجلبه الحواس، فالعقل صفحة بيضاء ولا معارف فطرية (لوك،٢٠١٩.ص١٤٦) تلك المعرفة التي تدعي لنفسها الحقيقة والموضوعية، وبالتالي فإن الهندي الأمريكي ليس مستبعدا من مفاهيم لوك حول الفرد العالمي، بل هو أحد مكوناته، فلابد من مزارع وعمال يُستخدمون سخرة لقيام تجارة إمبريالية، يقول الباحث كوليا:" لوك في نظرية المعرفة واللاهوت البروتستانتي والمصالح الاقتصادية لتأسيس نموذج المزارع للاستعمار في الأمريكيتين لا يمكن اختزالها في مبرر اقتصادي علماني لزيادة إنتاجية الأرض والعمل، تم تنظيمها للمصادرة الاستعمارية للأراضي والموارد من الشعوب الأصلية، وتصنيف لوك في المعرفة المتعلقة بالعقل البشري وإدارتها والتحكم فيها يضعه ضمن التفكير القطبي العالمي، وهو المنطق المركزي للمخططات الإمبراطورية للهيمنة العالمية" (Kolia, 2015.p126) .

المطلب الرابع: الأصالة، والازدواجية في فلسفة جون لوك.

أولا: أصالة فلسفة جون لوك.

حصل جون لوك بقبول مجتمعه لفلسفته، كما تمكن من انتهاجها وتنفيذ بنودها، بخلاف غيره من الفلاسفة المنظرين في الدولة والقانون، والذين أحاطت بهم دائرة النقد والهجوم، حيث رجمهم المجتمع، وكره فلسفتهم، لقد كتب توماس هوبز في السياسة، وكانت فلسفته مبنية على استقراء لمتوقع مما هو واقع، وإذا كان لوك ألف رسائله في وسط صراع ديني قائم، فهوبز ألف كتابه لتوقعه اندلاع الحرب المدنية في المستقبل، ولقد تقوى هذا التوقع عندما تحققت مخاوفه، ومع ذلك تعرض للنقد والهجوم، والسبب مقاومته للديموقراطية، ولأنه متهم بالإلحاد. (رسل,٢٠١١. ج٣/ ص٨٠).

١. حق التملك.لا يكاد يخرج لوك عن سابقيه من المنظرين في الفلسفة السياسية وفي العقد الاجتماعي، أو القانون ونظم الملك والحكم، لكن تمكن من توظيف كل ما حوله لبناء وتنفيذ فلسفته؛ فمنطلق من الحقوق الطبيعية، وارتباطها بالتملك وحق البقاء وتقرير الصراع عليه، وما يسمى الباب المفتوح وحقوق الإنسان، ذلك كله مرتبط بالمذهب البيوريتاني وأصوله (رسل،٢٠١١. ج٣/ ص١٧٥)، وهو يمثل أفقاً معرفياً، وواقعاً معاشاً تلقاه

لوك في تربيته من والدين من البيوريتانية، وتنشئته الاجتماعية التجارية، فأغلب أفكاره طبقها المهاجرون الإنجليز في أمريكا، ومن خلال مهمته الخاصة كونه سكرتيرا للمستعمرات، فهو مسؤول عن حماية وتمكين تلك الجماعات المهاجرة، وأخيرا رسالته في التسامح الديني كان منشأها ما واجهته تلك الجماعات سابقا في إنجلترا، كل ذلك يبنى تصور لوك الاستعماري. فبعد أن أطاح البيورتانيون بالملك شارل الأول، تطلعت شريحة من المجتمع الإنجليزي للديموقراطية، ومنهم فئة تسمت بأنصار المساواة، طالبت بالتساوي بين الناس وأن لا مبرر لوجود فقراء يجوعون في وقت تمتلئ خزائن الأغنياء، وكان من فعلهم أنهم خرجوا الى أراضي عامة لم تفلح، فحرثوها ونثروا البذور فيها ونادوا بالناس لتملكها، وصدر لهم بيان عام ١٦٤٩م، جاء فيه" في البدء جعل الخالق العظيم، الأرض ملكا عام مشتركا للحيوان والإنسان، ولكن الإنسان فيما بعد عميت بصيرته فأصبح عبدا أكثر خضوعا لبني جنسه، وجرى التصرف في الأرض بالبيع والشراء وأحاطها الحاكم بالحواجز والسياج وبقيت في حوزة قليلة من الناس، وكل ملاك الأراضي لصوص، ولن تنقطع الجريمة والكراهية والبغضاء ما لم تسترد الملكية العامة المشتركة(ديورانت، ١٩٥٣،ج٣٢/ ص٨)، وقد علق ديورانت بأن هذه الحركة بعد توقفها، تسربت أفكارها إلى الإنجليز الفقراء الذين عبروا المحيط لأمريكا، هذه الحركة تضمنت نفس بنود حجة لوك ومشكلتها الوحيدة أنها ظهرت في إنجلترا، ولذلك فشلت.استفاد لوك ممن سبقه في التنظير السياسي، منهم مواطنه توماس هوبز في فلسفة العقد الاجتماعي، حيث جاء مقدمة لفكرته الفلسفية في الحكم المدني، ولعل نقد لوك عليه يبرر التأثر، جاء كتاب توماس هوبز اللوايتان (Leviathan) الأصول الطبيعية لسلطة الدولة ليصف الإنسان بأنه في حالته الطبيعية يكون في حالة تنافس وعدوان، لا يوقفها إلا الخوف ومن خلال العقد الاجتماعي الذي اتفق عليه الناس لتنتظم عليه الحياة ويستقر الأمن، يقول هوبر:" إن الغاية وهدف البشر التواقين بطبيعتهم إلى الحرية وممارسة السلطة على الآخرين، من خلال فرض قيد على أنفسهم والذي يجعلهم في إطار الدولة" (هوبز,٢٠١١.ص ١٧٥)، يقول رسل:" بالنظر إلى حالة الطبيعة كان لوك أقل أصالة من هوبز، الذي اعتبرها حالة حرب للكل ضد الكل، والحياة فيها بغيضة وقصيرة، ولكن هوبز ذاع صيته كملحد، في حين أبقى لوك الأساس اللاهوتي "(رسال،٢٠١١. ج٣/ ص١٧٥)، ولعل من الأسباب هو ممارسة لوك وتبصره في السياسة، وهو ما يبرره أحد نقاد هوبز والذي يقول: "لو أتيح لهوبز أن يتبوأ مقعدا في البرلمان أو في المجلس أو في دور القضاء...قد يتبين له في تأملاته في عزلته والتزامه المتعجرف ببعض أفكاره، نقول قد يتبين أن هذا كله قد ضلله وحاد به عن الصواب "(ديورانت،١٩٣٥. ج٣٤/ ص٢١).ولعل أبلغ تقييم للفيلسوفين ما كتبه رسل؛ يقول: "نظرية لوك عن الحكومة القليل هو الأصيل، واكتسابه للشهرة من قاعدة أن من ينشئ فكرة جديدة سابقة على وقتها يوصف صاحبها بالأحمق، ومن ثم يظل في الظلام، وما أن يغدو العالم مستعدا للفكرة، الرجل الذي يعلنها يحظى بكل التفضيل" (رسل،٢٠١١. ج٣/ ص ١٧٥).

٢. فلسفة التسامح.انبعثت مناشدات التسامح الديني في أوروبا بعد معاناة الناس من التناحر بينهم باسم الدين، فأصدر داعي الحرية الدينية والفصل بين الكنيسة والدولة اللاهوتي البروتستانتي روجر ويليامز في ١٦٤٤م بياناً ورد فيه: "إنها إرادة الرب وأمره أن تباح لجميع الناس في جميع الأمم أشد المعتقدات والعبادات وثنية" (ديورانت، ١٩٥٣، ج ٣٢/ ص١٦٧).في هولندا والتي تعد ذلك الوقت متحررة، نشر فيها باروخ اسبينوزا كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة في عام ١٦٧٠م، فطالب بحرية الفكر والمعتقد، وحماية حق الناس في التعبير والاعتقاد، دون المساس بالعدالة والتقوى وأمن الدولة، وأن السيادة لا تعني فرض معتقد على أحد، بل على الدولة أن تنشر الأمان وتزيل الخوف من قلوب رعاياها، فقال: "من الأفضل السماح بما لا نستطيع منعه مهما كان الضرر"(اسبينوزا،٢٠٠٥. ص٤٣٩)، وقد كتب لوك رسالة في التسامح أثناء إقامته بهولندا، بعد تسعة أعوام من نشر اسبينوزا لكتابه، ويظهر تأثر لوك في الإطار العام لرسالته، فقد كانت نزعة التملك والاستعمار وتقوية الاقتصاد مسيطرة عليه حتى في رسالة التسامح.

ثانيا: الازدواجية في فلسفة جون لوك.

١. الحروب والاستعمار.في القرن السابع عشر ساد في أوربا ثقافة تتعلق أن الطبيعة مليئة بكائنات خارقة خيرة وشريرة؛ تؤثر هذه القوى في حياة الناس وتزامن ذلك مع انتشار للخرافة ونشاط السحرة، واعتبر التشكيك في السحر إلحادا، بالتالي انقسم الناس بين مصدق بوجود السحرة ومتلزم بقتلهم تديناً، وبين فكر عقلاني ينكر وجود السحر، ولا يجرم السحرة، حتى غلب صوت العقلانية في تنوير القرن الثامن عشر. إما النوع الثاني من الصراع كان بين الكاثوليك والبروتستانت وبين الملوك والبابوات، وخلصت الكنيسة الكاثوليكية بأنها ملتزمة بقمع الهرطقة، وقد سفكت الدماء ودمرت المدن بسبب هذه الحروب، حتى قويت دعوات التسامح الديني. (ديورانت، ١٩٥٣، ج ٣٢/ ص١٦٥-١٦٦- ١٦٧)مفهوم التسامح الديني أضفت على فلسفة لوك الاستعمارية ازدواجية في استخدام الدين ليس من أجل الخلاص النصراني، وكف أيدي الناس عن سفك الدماء، بل أكثر علمانية؛ فجعل من صعود التسامح الديني في أوروبا في القرن السابع عشر، بتشجيعه جزئيًا لأنه اعتقد أنه وسيلة أكثر فعالية لتنصير

النفوس الوثنية للاستفادة منهم لاستثمار الأرض، ولفهم وجود هذا التناقض بين قوله بالحروب والاستعمار، وبين رسالته في التسامح؛ يظهر وفق اصطناع " ازدواجية بين التسامح الديني والتفكك الديني، على عكس الروايات الأخيرة عن فلسفة التسامح عند لوك والتي تشير إلى أن الأول يستلزم الأخير" (Turner, 2011. P271).انطلق جون لوك في فلسفته الاستعمارية من فكرة واحدة سائدة في جميع مؤلفاته، لا يمكن وصف جون لوك بأنه متفاوت فيها، بل هي على نسق واحد، في كتاب رسالة في الفهم البشري تنهض فكرة الاستعمار من مفهوم المعرفة، فيقول: "الناس من خلال ملكاتهم الطبيعية فقط يمكنهم امتلاك كل المعرفة التي يحصلونها"(لوك،٢٠١٩. ص١٢٧)، ولذلك يرفض جون لوك مسألة الاجماع البشري على أي مبدأ: "الشيء أن يكون أو لا يكون ليس هناك اتفاق شامل عليها...لأن هناك قسماً كبيراً من البشر لا يعرفون الكثير عنها بل يجهلونها" (لوك،٢٠١٩. ص١٢٨)، وهذا ما يجعله يقع في شرك تناقض فلسفته؛ فهو ينفي وجود الاجماع، وفي نفس الوقت يجعل الحرب على الآخرين مبررة لأنهم لا يخضعون لقانون بلد معين، وهو يجعل الإنسان ينطلق من عقله لأثبات وجود الموجودات يقول:" استخدام الإنسان لعقله وممارسته لتفكيره هما اللذان يساعدانه في اكتشاف المبادئ وجعلها معروفة بالنسبة له"(لوك،٢٠١٩. ص١٣٠).من ناحية ثانية؛ مثّلَ موقف جون لوك في إنكار المعارف الفطرية أدى لإنكار فطرية الأخلاق، بالتالي لا يوجد اجماع بين الناس عليها، ففي موقفه من العدالة والوفاء بالعهد يستدل بفعل اللصوص فيما بينهم بحفظ العهود والعدالة، ثم يعلق على ذلك بقوله: "أنهم يفعلونها كقواعد مريحة ضمن جماعتهم، لكن من المستحيل أن نتصور أنهم يعتنقون العدالة كمبدأ عملي"(لوك،٢٠١٩. ص١٤٠)، وفي نفس الوقت يوظف الفضيلة لمصلحته، في ازدواجية بين قبلوها لا لذاتها بل بما تحققه من نفع، مفهوم البرجماتية عند لوك ظاهر وبيّن في فلسفته الاستعمارية وخاصة عند توصيفه لمفهوم الفضيلة يقول: "الفضيلة تقبل عموماً ليس لأنها فطرية بل لأنها نافعة... فمن الواضح أنها نافعة ومفيدة للجميع الذين يتعامل معهم الإنسان الفاضل انطلاقا من المصلحة... الفضائل تدنس من قبل الناس في أوقات، وفي أوقات أخرى تقدس، وذلك حسب النفع والمصلحة"(لوك،٢٠١٩. ص١٥٠)، وهو ليس بمختلف عن فلسفة السوفوسطائية بأن لا حقيقة مطلقة لشيء، والإنسان مقياس كل شيء. (ستيس، ٢٠٠٥.ص ٨٠).والازدواجية في تطبيق القانون وتنفيذ عقوباته، حين يقرر لوك أن انتهاك قاعدة غير معروفة ليس بحجة، لذلك يربطها بقرينة تبرر ازدواجيتها، ذلك أن العقاب يلحق من يخالف القوانين المشتهرة بين جماعة من الناس بعينهم (لوك،٢٠١٩. ص١٥٣)، فحق ممارسة تلك القاعدة ينطبق على الإنجليزي والأوروبي دون غيرهم من الشعوب، ولذلك طبقها بنفسه فنظّر وساهم في استعمار الأراضي الأمريكية، وكان له أسهماً في عدد من الشركات. إن قوانين الحكم المدني الإنجليزي، وما صنفه جون لوك من قوانين في كتابه رسالتين في الحكم المدني غير معروفة للسكان الأصليين في أمريكا، ومع ذلك طبق لوك عليهم أحكامها وعواقب مخالفتها في صرامة ووحشية، بالرغم من أن لوك في كتابه رسالة في الفهم البشري يؤكد على اختلاف الناس وتفاوت الشعوب في العادات والأعراف والدين والقوانين. (لوك،٢٠١٩. ص١٦٠).

٣. العبودية.في كتاب رسالة في الفهم البشري حرر جون لوك عدة مفاهيم ترتبط بازدواجية سافرة، ففي القانون المدني قال لوك: "القانون المدني مقياس الإجرام والبراءة... الدولة المسؤولة عن حماية أرواح الناس، وحرياتهم وملكياتهم، وهم الذين يعيشون طبقاً لقوانينها، وتكون لديها السلطة لأن تنزع الحياة، الحرية، أو الممتلكات من ذاك الذي يعصي القانون" (لوك،٢٠١٩. ص٤٥٠)، وفي مفهوم الإنسان وعلاقته بمفهوم الحرية يقول: "تختصر الأفعال الأفكار عن الحرية؛ التفكير والحركة، وبقدر ما يكون للإنسان قدرة على التفكير أو عدم التفكير، الحركة أو عدم الحركة طبقا لما يوجهه ذهنه، بقدر ما يكون الإنسان حرا"(لوك،٢٠١٩. ص٣٣٣)، وهو يجعل الحرية قدرة على العمل، لكنه يسلب هذه الحرية بترك العمل يقول: "لا يمكن أن يكون الإنسان حراً حين لا يقوم حالاً بأي عمل بمستطاعه أن يفعله"(لوك،٢٠١٩. ص٣٤١) وهذا غاية لوك ومبتغاه فهو يصنف السكان الأصليين وفق قوانين الحكم المدني الخاصة به؛ أنهم غير عاملين وفق إنتاجية يراها مجدية، بالتالي يجعلهم غير أحرار لأنهم لا يقومون بالعمل كما يجب في استثمار الأراضي الخصبة التي بحوزتهم بالتالي يحق للمستعمر سلبها منهم واستعبادهم عليها.وفي مقارنة وصفه للحيوان أنه: "لا تختلف حالة الحيوان عن حالة النبات إلا في أن كلاً منا ما يمكن أن يرى ما يصنع الحيوان ليجعله يستمر كما هو في ذاته، شيء ما كهذا يوجد في الآلات" (لوك،٢٠١٩. ص٤٢٧)، فالحيوان مجرد آلة مسخرة، فيفصل لوك بين الموجودات ويعيد تصنيفها، فيجعل الإنسان البدائي في منزلة الحيوان، والحيوان في منزلة الآلة، ومن خلال توصيف هوية الإنسان يقول لوك:" الإنسان هو الكائن الذكي المفكر الذي يمتلك عقلاً ويفكر، كما يمكنه أن ينظر إلى نفسه بذاتها على أنها الشيء المفكر ذاته في مختلف الأزمنة والأمكنة...الوعي يصاحب التفكير وهو ما يجعل كل إنسان يتكون مما يدعوه ذاتا، بالتالي يتميز عن سائر الكائنات المفكرة الأخرى...الهوية الشخصية تعني ذاتية الكائن العاقل"(لوك،٢٠١٩. ص٤٣١).مما سبق يتحتم قراءة فلسفة لوك من خلال جميع مؤلفاته، والتي تتميز ببناء واحد لا يختلف في بواعثه وغاياته، بما لا يدع مجالا للشك أن لوك عراب الاستعمار والعبودية.تثبت الدراسات العلمية القائمة على دراسة رسائل جون لوك كسكرتير للملاك والتجار

الإنجليز، حيث تعامل جون لوك في مفهوم البشرية بازدواجية متطرفة، ومن العبث قيام عدد من الباحثين بالتنقيب عن مبررات تعفي لوك من هذه الازدواجية تقول الباحثة ولشمان: " ما من سبب وجيه للاعتقاد بأن لوك لم يكن على علم بطبيعة عبودية العالم الجديد، كما أن الحقائق ذاتها التي يبدو أنها تدين لوك بالفساد الفلسفي الأخلاقي الفادح قد تم إثباتها" (Welchman,1995.p.69).وكان استخدم رؤساء التبشير الدين للتحدث باسم الرب بما يحقق مكاسب الاستعمار، والعبودية، يقول الباحث تيرنر:" ادعاءان واضحان: الزنوج بشر، وأن العبودية لا تحرم الرجل من حقه في الدين (Turner, 2011.P273)، وهذا هو الحل الذي يبقى العبودية ويموه التناقض في فلسفة لوك الاستعمارية، لكن هذا الضابط يفسره ما ورد في رسالة لوك في التسامح يقول: "الشخص من حيث هو انسان هو مواطن من اللازم أن تكون له حقوق محفوظة، هذه الحقوق لا علاقة لها بالدين سواء كان نصرانيا أو وثنيا...لا يحق لشخص أن يحقد على آخر لأنه ينتمي لكنيسة أخرى، أو دين آخر"(لوك،١٩٩٧. ص٣٢)، وليس في ذلك ما يمنح السكان الأمريكيين أي حق، إلا بعد الخضوع لدولة وقانون لوك المستعمرة، تصريح لوك بأن الشخص لابد أن يكون مواطنا، وإلا فهو عدو يجب منابذته.ومما يدل على الازدواجية؛ مقارنة نتائج الصراع الإنجليزي بين الملك شارل الأول الكاثوليكي، وبين زوج ابنته ويليام البروتستانتي، والتي انتهت بمقتل الملك شارل، وسقوط مملكته بيد ويليام، تبين الباحثة ولشمان سفور الازدواجية عند لوك:" إذا طبقنا تفسير لوك لحقوق الغزو على غزو ويليم لإنجلترا، يترتب على ذلك أنه إذا كان غزو ويليام مجرد حق له في المطالبة بامتلاك حياة وحرية الملك شارل الأول، أو فرسانه، أو وزرائه، أو غيرهم من الحلفاء الذين انضموا طوعًا إلى قضية شارل الأول، لكن غزو ويليام لم يكن ليؤهله للمطالبة بحياة الشعب الإنجليزي أو حرياته، أو محتويات الخزانة الإنجليزية، أو حتى محتويات ممتلكات شارل الكاملة، وهكذا، فإن انتصار ويليام لم يمنحه تعيينًا إلهيًا على الإنجليز يمكن أن ينجح فيه الملوك اللاحقون. (Welchman,1995.p.71)ولا يبدو أن ثمة تناقض عند لوك في فلسفته العنصرية الاستعبادية من خلال الدين وحق التدين، ففي رسالته للتسامح أعلن صراحة: "حفنة من النصارى ضعيفة ومعدمة تصل إلى بلد وثني، تتضرع إلى المواطنين أن يمدوهم بضرورات الحياة فيمدونهم ويعطونهم سكنا فيتكاتفون جميعا ويكونون شعبا واحدا...وتتجذر النصرانية في البلد، ثم يصبح الأمير نصرانيا، ويصبح حزبهم الأقوى، وفجأة تنتهك المواثيق والحقوق المدنية وتجتث الوثنية، فيتعرض الوثنيين الأبرياء للطرد من أراضيهم ومن ممتلكاتهم، بل الحرمان من الحياة ذاتها، وعندئذ تصبح الكنيسة قوية وشرهة في السيطرة، مثل هذه الكنيسة من شأنها أن يصبح ادعائها للدين عباءة يتستر من ورائها النهب"(لوك،١٩٩٧.ص٤٧- ٤٨)، من هذا النص يرفض لوك سيطرة الكنيسة ونفاذ قانونها في الحكم المدني، ومن الغريب أن يجعل فعلها مشيناً في الوقت نفسه يبرر موقف الحكم المدني في قانونه بحق الإنجليزي في البقاء وتملك ما يستطيع أن يستثمره، وسحق أي مقاومة تقف في وجهه، ما دام ضمن رعايا ذلك القانون والبلد، فذلك مقبول ومشروع عند جون لوك وفق الحق الطبيعي وبالدليل اللاهوتي.

الخاتمة.

الحمد لله رب العالمين على نعمه وفضله، والحمد له تعالى أولا وأخرا على تمام هذا البحث والذي خرج بعدد من النتائج، وهي:

- تمثل فلسفة جون لوك في السياسة والعقد الاجتماعي الامتداد للتنظير الفلسفي السياسي في العصر الحديث.
- أثرت الصراعات السياسية والدينية، وانعكست التطلعات الاقتصادية والتجارية على فلسفة جون لوك.
- تنعدم الأخلاق وروح المساواة بين الناس عند السعي لتحقيق المكاسب في فلسفة جون لوك.
- يمكن وصف جون لوك أنه عراب الاستعمار والعبودية بمشاركته في التنظير الفلسفي لهما.
- تمثل الاختلافات البحثية حول جون لوك دلالة على التناقض والازدواجية في فلسفته.

التوصيات:

- دراسة أثر مؤلفات الرحالة حول العالم الجديد في فلسفة جون لوك.
- دراسة مكانة القيم والفضيلة في الفلسفة السياسية.

المراجع.

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام. (١٩٩٨). مجموعة الفتاوى. (عامر الجزار، وأنور الباز: محقق). مكتبة العبيكان.(ط١) الرياض.

٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام. (٢٠٠٨). السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. (علي بن محمد العمران: محقق). مجمع الفقه الإسلامي. جدة.

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد. (٢٠٠٤). مقدمة ابن خلدون. دار الفكر. بيروت.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٠). لسان العرب. دار صادر. (ط١). بيروت.

٥. اسبينوزا، باروخ. (٢٠٠٥). رسالة في اللاهوت والسياسة. (د. حسن حنفي: مترجم). دار التنوير. (ط١). بيروت.

٦. البعلبكي، منير. (١٩٨٣). المورد. دار العلم للملايين. بيروت.

٧. جيمس، وليم. (٢٠١٥). البرجماتية. (محمد علي العريان: مترجم). آفاق. (ط١). القاهرة.

٨. ديورانت، ول.(١٩٥٣). قصة الحضارة. (فؤاد أندراوس: مترجم)، دار الجيل. بيروت.

٩. رايت، وليم كيلي. (٢٠١٠). تاريخ الفلسفة الحديثة. (محمود سيد أحمد: مترجم). التنوير للطباعة والنشر. (ط١). بيروت.

١٠. رسل، بيرتراند. (٢٠١١). تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث. (د. محمد فتحي الشنيطي: مترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

١١. ستيس، ولتر. (٢٠٠٥). تاريخ الفلسفة اليونانية. (مجاهد عبد المنعم مجاهد: مترجم). مجد المؤسسة الجامعية. (ط٢). بيروت.

١٢. الغزالي، محمد بن محمد. (٢٠١٢). الاقتصاد في الاعتقاد. (د. صلاح الدين الهواري: شرح)، المكتبة العصرية. (ط١). بيروت.

١٣. لوك، جون. (١٩٥٩). في الحكم المدني. (ماجد فخري: مترجم). اللجنة الدولية لترجمة الروائع. بيروت.

١٤. لوك، جون. (١٩٩٧). رسالة في التسامح. (منى أبو سنه: مترجم). المجلس الأعلى للثقافة. (ط١). القاهرة.

١٥. لوك، جون. (٢٠١٩). الأعمال الكاملة، الجزء١. (عبد الكريم ناصيف: مترجم). دار الفرقد. (ط١). دمشق.

١٦. مونتسكيو، شارل لوي. (٢٠٢١)، روح الشرائع. (عادل زعيتر: مترجم). منشورات الجمل. (ط١). بيروت.

١٧. هيلينس، جون. (٢٠١٠) معجم الأديان. (هاشم أحمد محمد: مترجم). المركز القومي للنشر. (ط١). القاهرة.

١٨. وهبه، مراد. (١٩٨٧). التسامح والدوجماطيقية. أبحاث المؤتمر الإقليمي الأول للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الاجتماعية. مكتبة الأنجلو المصرية. (ص١٥٥-١٥٩) القاهرة.

المراجع الإنجليزية.

1.Arneil, M. Barbara. (1992) 'All the World was America' John Locke and the American Indian. In fulfillment of the requirement for the degree Doctor of Philosophy. University College, London.

2.Allemand, L. E. (1976) Two European Influences on the American Revolution: Puritanism and John Locke, *DePaul Law Review journal*. Vol 25, Issue 4. P.805, 824.

3.Blackburn, Robin. (1988). *The Overthrow of colonial slavery 1776-1848.* Verso. London.

*4.*Cundiff. Caroline. (2021) *Slavery in Thought and Action Reconciling the Duality of John Locke.* A Thesis for the Degree Master of Arts, ARIZONA STATE UNIVERSITY.

*5.*Kolia, Zahir. (2015). *Colonial Theology: John Locke, Jean-Jacques Rousseau, Charles Darwin and The Emergence of the Colonial -Capitalist world system, 1500-1900.* Degree of Doctor of Philosophy graduate program in social and political thought. York University. Toronto, Ontario.

6.Uzgalis, William. (2017). John Locke, Racism, Slavery, and Indian Lands. The Oxford Handbook of Philosophy and Race. Edit. By: Naomi Zack. Oxford University Press.

7.Welchman, Jennifer. (1995). Locke on Slavery and Inalienable Rights. *Canadian Journal of Philosophy,* Vol. 25, (1). pp 67- 81 Published by: Cambridge University Press.